كلمة سعادة السفير الأميركي لدى دولة الكويت ديبورا جونز
بمناسبة الاحتفال بالعيد الوطني الأميركي
السفارة الأميركية لدى دولة الكويت
الأربعاء 10 مارس 2010

معالي الوزير الشيخ الدكتور محمد الصباح، حضرات الضيوف الكرام، أصدقاء الولايات المتحدة الأميركية الكرام (تحية باللغة العربية) "أهلاً و سهلاً"

أهلا بكم في هذا الحفل الذي نقيمه بمناسبة عيدنا الوطني والذي نحتفل فيه عادة في الولايات المتحدة الأميركية في الرابع من يوليو، أما هنا في الكويت، فقد جرت العادة على أن نحيي هذه المناسبة في أشهر يكون الطقس فيها أكثر اعتدالا وتكون قريبة إلى حد ما من ذكرى يوم الرئيس الذي يصادف في نهاية شهر فبراير من كل عام.

لعل من حضر منكم الاحتفاليات السابقة التي أقمناها إحياء لعيدنا الوطني قد لاحظ أنني أحب المواضيع المتعلقة بالمجهود المستمر الذي تبذله أميركا لتحافظ على مُثُلها التأسيسية، ومنها إحداث تغييرات جذرية في قوانيننا كما في مواقفنا التي من شأنها أن تقربنا أكثر من الوصايا والمبادئ المحفوظة في الوثائق التأسيسية لبلدنا، وهي إعلان الاستقلال ودستور الولايات المتحدة الأميركية ووثيقة الحقوق. في السنة الماضية ركزنا على الخطاب الرئاسي الثاني للرئيس لينكولن وعلى موضوع الإصلاح الوطني عقب الحرب الأهلية والانتقال من الحكم بالإجماع إلى حكم الأكثرية. وفي السنة التي سبقتها، اخترنا موضوع المرأة وحقها في التصويت.

إن إعلان الاستقلال ينادي "بالحقيقة البديهية" التي آمن بها أباؤنا المؤسسون وهي "أن كل البشر خلقوا متساوين، وأن خالقهم وهبهم حقوقا معينة لا يمكن التصرّف بها ومن بينها الحق في الحياة والحرية ونشدان السعادة." وبالتالي فإن التجربة الأميركية ترتكز على هذه المقدمة المانحة للسلطة ومادة الإيمان العظيمة هذه واللتين تنصان على أنه ثمة حقوق فطرية منحها الخالق إلى الشعب، وأنه قد تم إنشاء الحكومات لضمان تلك الحقوق وأن تلك الحكومات تستمد سلطاتها من رضا المحكومين.

إن هذا الأمر ما يزال عملا في طور التقدم. لقد أمضى الأميركيون الـ 234 سنة الماضية وهم يسعون لتحقيق هذه المُثُل. إن حكومة الشعب، من الشعب وللشعب، بحسب مقدمة دستور الولايات المتحدة الأميركية، تضع

مسؤولية جمة على مواطنينا ليطلعوا على الصراع ويكونوا فعالين فيه فيناقشونه ويبدون عدم موافقتهم عليه ويشاركون فيه ومن خلال هذه العملية يمكنهم اتخاذ القرار حول الكيفية في الحكم التي يريدون أن يُحكموا بها. إن قصة أميركا التي تفرض نفسها والتي قد تشوبها الشوائب تتضمن أرصدة عدد من الأميركيين الجمرديين الذين تحملوا هذه المسؤولية كاملة فحاربوا بعناد لنيل حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وطالما خاطروا بأمنهم الشخصي وبحياتهم في بعض الأحيان لقاء ذلك. إن الديمقراطية ليست بسهلة وعملها عملا لا ينتهي فهي حيوية ومتحولة بقدر حيوية وتحول المجتمعات التي تمثلها.

في الواقع، يتجسد الذكاء والتحدي في تجربة الحكم التمثيلي والديمقراطي ذاك بالاعتراف بأن المجتمات تتطور وتتغير مع الوقت، وبأن هذا النمو ضروري جدا لحيوية أي نظام من الأنظمة ليمنع الجمود والركود. وكما قال الملك كانوت العظيم، ملك الفايكينغ الذي حكم إنكلترا في القرن الحادي عشر، إن الإنسان لا يمكنه الوقوف على الشاطئ وأمر الأمواج بالتوقف، وخاصة في عالم كعالمنا المتداخل والغني بالمعلومات. وهكذا، يتوجب على الأميركيين أن يحددوا دوما لأنفسهم معنى الحصول على حكومة تضمن حقوق الشعب "بالحياة والحرية ونشدان السعادة." ولقد أقر أباؤنا المؤسسون (وأمهاتنا المؤسسات اللواتي ساهمن بفعالية في هذا الجدال/المناقشة) بحق بأن هذه التحديدات قد تتغير مع الوقت لا بل يجب عليها أن تتغير مع الوقت.

نحن نتكلم عن جدلية طبيعية وعن "دعوة للنضال" موجودة في قلب نظام الحكم لدينا الذي يقوم على أفرعته التنفيذية والتشريعية والقضائية وعلى مؤسساته الصلبة والمتينة التي تتأصل فيها سلطة الحكومة المحدودة ضمن أساسيات الدستور الواسعة، كما يقوم أخيرا على وثيقة الحقوق التي تؤسس بطريقة موجبة حقوق الشعب. وتخلق هاتان الوثيقتان التوأم، وهما الدستور وتعديلاته، بيئة تفسح المجال أمام المواطنين ليتحدوا حكوماتهم تحديا غالبا ما يكون مشاكسا وغير مدني وهم على يقين بأن أفعالهم هذه لن ينتج عنها أي انهيار في النظام كما أنها لن تؤد إلى أي تدخل حكومي غير ضروري أو فرض قيود حكومية مفرطة على حرياتهم. وبانعدام وجود هذه المعارضة نخاطر بالقبول بوضعنا الراهن الأمر الذي يمنعنا من الازدهار.

عند مدخل الحفل هذا المساء، لاحظتم وجود لوحات تصور فترات زمنية مختلفة من تاريخنا، وهي كثيرة، حين قرر المواطنون أن الحكومة لم تكن تعير قضاياهم المهمة الاهتمام المطلوب فتحركوا لإحداث تغيرات سياسية أو تشريعية وفي بعض الأحيان، نتج عن هذه التحركات مشادات عنيفة. وأتمنى أن تتوقفوا أمام هذه الملصقات وتنظروا بعمق إلى الدرب الصعب المليء بالعقبات أحياناً الذي يقودنا نحو التقدم.

إن النضال الأميركي بدأ فعلا قبل الاستقلال. لقد قام أوائل المستوطنين الأميركيين برمي أطنان من الشاي في خليج بوسطن ليظهروا مدى ازدرائهم للضريبة التي فرضها عليهم حكامهم البريطانيون والتي اعتبروا أنها غير منصفة. ومنذ ذلك الحين، انتفض المواطنون الأميركيون مرارا وتكرارا على مدى قرنين ونصف القرن للاحتجاج على بعض الممارسات والسياسات التي اعتبروا أنها لا تتوافق ومواد دستورنا أو ووثيقة الحقوق المخصصة لنا أو حتى أنها لا تتوافق بكل بساطة مع واجباتنا الأخلاقية كأمة بدءا بالعبودية، مرورا باستغلال عمال المصانع والمزارع بمن فيهم النساء والأطفال، فتعويضات المحاربين القدامى، وصولا إلى التسجيل العسكري لما اعتبره الكثيرون حربا غير شرعية، ثم الحقوق المدنية، وحقوق المرأة وحقوق مثليي الجنس. وفي بعض الأحيان تتحول هذه الاحتجاجات إلى أعمال عنف مأساويةٍ إثر حدوث اشتباكات بين قوات الأمن الحكومية والمواطنين، أو عناصر المعارضة في المجتمع.

وفي كل مناسبة، تعلو الكثير من الأصوات التي تدعي أن الولايات المتحدة ليست مستعدة للتغيير – وأن التغيير الحقيقي لن يحدث بين عشية وضحاها، بل غالباً ما يتطلب مجهوداً مضنياً على مدار عقود وليس سنوات، غير أن المواطنين الأمريكيين العاديين تحلوا بالشجاعة الاستثنائية وأعلنوا رفضهم للوضع الراهن. لقد كانت لديهم الشجاعة للنقاش وطرح الأسئلة الصعبة والتعامل مع الأوضاع الراهنة. كانت لديهم الشجاعة للبحث عن تحالفات جديدة، وتنفيذ أفكارهم الجديدة. وفي المقابل، شجعت هذه الأعمال على تعزيز مؤسساتنا، وإحداث تغيير-- في قوانيننا بل وفي الشارع العام.

لقد حررت "حفلة شاي بوسطن" المستعمرة الوليدة من عبء ضريبة غير عادلة؛ مما شجع المدافعين على إلغاء العبودية بتوعية المواطنيين والرأي العام حول هذه المسألة، وهو ما أدى إلى حرب أهلية، وعمل دؤوب للمطالبة بحق المرأة في الإقتراع – الأمر الذي اعتبره العديد من أقرانهم مطالبات غير عقلانية -- لكن هذه المطالبات تكللت في النهاية بحدوث التعديلات الدستوريةٍ الثامنة عشرة، التي تكفل للمرأة حق التصويت. واضطرت الحكومة إلى إصدار تشريع ومراجعة أحوال عمال المزارع بعد رفضهم لظروفهم المعيشية المهينة وأجورهم الزهيدة ؛ كما صعد النشطاء في الحقوق المدنية من حملتهم بعد أن رفضت امرأة التخلي عن مقعدها في حافلة، وهو ما كان سبباً فيما بعد لإصدار قانون الحقوق المدنية لعام 1964 ؛ كما أسفرت الاحتجاجات الطلابية ضد مشروع حرب فيتنام عن إحداث تغييرٍ سياسي.

نضالنا لم ينته بعد ، ولن ينتهي أبدا عند هذا الحد حيث أننا لم نحقق جميع المُثُلُ المتأصلة في إعلان الاستقلال. ومن الجدير بالذكر أن يكتب فوق مدخل مبنى المحكمة العليا في واشنطن العاصمة، "المساواة والعدالة بموجب

القانون". وفي هذا السياق، تحدثت روث غينسبرغ من محكمة العدل العليا قبل عدة سنوات أمام مجموعة من المحامين الدوليين في اسطنبول قائلة: " لا تزال هذه العبارة هدفاً ملهماً لنا أيضا"، كما أنها تمثل المثل الأعلى الذي نسعى دوماً إلى تحقيقه.

وفي العام الماضي، صرح الرئيس أوباما في خطابه الرئاسي قائلاً: " مع التأكيد مجدداً على عظمة بلادنا، ندرك ان هذه العظمة ليست هبة تُعطى يجب أن تؤخذ بجدارة. مسيرتنا لم تعتمد يوماً على الطرق المختصرة أو الاكتفاء بما هو أدنى. لم تسلك طريق الجبناء، أولئك الذين يفضلون التسلية على العمل أو يسعون دائما إلى ملذات الثراء والشهرة. بل كانت طريق المخاطرين وأصحاب الأفعال الذين يأتون بنتيجة. لقد كُتبت الشهرة لبعضهم لكن أغلبهم من النساء والرجال المنغمسين في عملهم، وهو ما سمح لنا بالاستمرار على الطريق الطويل والوعر المؤدي الى الازدهار والحرية".

وفي هذه الأمسية، وكما نتذكر جيداً أن الولايات المتحدة قبلت مسؤولية النضال من أجل "الحياة والحرية، والسعي لتحقيق/نشدان السعادة ". ومن هنا، نهنئ الشعب العراقي على شجاعته لإجراء انتخابات ناجحة في ظل التهديدات ومواجهة أعمال العنف، ونتمنى لهم كذلك تشكيل حكومة جديدة وأن ينعموا بالأمن والازدهار. وكما نثمن أيضاً الإنجازات التي حققها أصدقاؤنا الكويتيون – مواطني هذه الدولة الديمقراطية النشطة المتفهمون لماضينا وحاضرنا ومستقبلنا. ونشكر شركاؤنا الكويتيون على الصداقة وحسن الضيافة، والتزامهم المشترك لتحقيق السلام والاستقرار والأمن في جميع أنحاء المنطقة وخارجها. لقد صرحت في الكثير من المناسبات وأكرر اليوم أن دولة الكويت تعتبر حليفاً وصديقاً لا غنى عنه في منطقة لها أهميتها الاستراتيجية القصوى بالنسبة للولايات المتحدة ، بل وللعالم.

في النهاية، أود أن أعرب عن خالص إمتناني للمؤسسات الراعية لهذا الحفل؛ فبدون المساهمات السخية من قبل الشركات المدرجة في برنامج الاحتفال لما تمكنا من إقامة هذا الإحتفال. أرجو أن نتوقف لحظة للإحتفاء بمساهمتم. كما أخص بالشكر فرقة الجاز الموسيقية **Kuwait Jazz Collective** على المقطوعات الموسيقية الذي أطربتنا هذا المساء.

مرة أخرى أشكركم جميعاً على حضوركم، وأرجو أن تستمتعوا بلحتفالات هذه الأمسية!

# # #